مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:28 عدد: 1 (رت 75) السنة: 2024

السلطة الاجتماعية للنصوص
تأويل نظرية التناص

The social authority of texts
Interpreting the Theory of Intertextuality

أ. طوالبية محمد[1]
جامعة غرداية
toualbiamed80@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/07/20 القبول 2023/07/10 النشر على الخط 2024/01/10
Received 20/07/2022 Accepted 10/07/2023 Published online 10/01/2024

ملخص

تتناول هذه الورقة ظاهرة النص من حيث قدرته على التأثير في الأنساق الاجتماعية. يمثل هذا الموضوع إشكالية أساسية في علم اجتماع الأدب، وأيضا في علم الاجتماع اللغوي. لذا فإن هذه الورقة لها قيمة ابستيمية معتبرة للباحثين في اللسانيات النصية وفي سوسيولوجيا النصوص على السواء. ورغم أن منهج الدراسة كيفي يعتمد على فهم الباحث للظاهرة المدروسة وفق خبرته، إلا أنه استطاع أن يتحقق من نتيجة أساسية وهي قدرة النصوص لاسيما الدينية والأيديولوجية على اختراق الحدود الجغرافية والزمنية وامتداد تأثيرها على حياة الناس بشكل غير محدود.

الكلمات المفتاحية: النصوص، السلطة الاجتماعية، تأثير النص، الخطاب، التأويل.

Abstract

This paper deals with the phenomenon of the text in terms of its ability to influence the social patterns that produced it. This topic represents a fundamental problem for the sociology of literature, so this paper has a significant epistemic value for researchers in textual linguistics and in the sociology of text. Although the study method is qualitative and depends on the researcher's understanding according to his experience, he was able to verify a basic result, which is the ability of heritage texts, especially religious and ideological ones, to penetrate geographical and temporal boundaries and extend their impact on people's lives in an unlimited way.

Keywords ; Texts, social authority, text effect, discours interpretation

.

[1] - المؤلف المراسل: محمد طوالبية البريد الإلكتروني: toualbiamed80@gmail.com

1. مقدمة:

للنصوص كينونة مستقلة عن مؤلفيها. على الأقل من وجهة نظر البنيويين. لكن خارج منطق البنية الداخلية للنص كان ينبغي أن نفهم العلاقة التي تربطنا بنصوصنا، وعلاقة هذه الأخيرة بواقعنا، خصوصا أن إنتاجها يتوقف دائما على فهمنا للعالم الذي نعيش فيه، كان ينبغي فهمها في إطار التأثير المتبادل أي في إطار مفهوم السلطة بمعناها الاجتماعي الواسع. نحن من نؤلف النصوص، لكنها، في نهاية الأمر، هي من يتحكم في حياتنا اليومية (على مستوى التصورات والأحكام)[1]. إذن فالمسألة ليست في كيف نُنتج نصا، وإنما في كيف نفهم نصا لم نشارك في إنتاجه، ومع ذلك فإن قراءة نص بعيدا عن سياقه الزمني سيعرضه لتأويلية صارمة تفرضها متغيرات الواقع الجديد. ورغم ذلك يبقى لذلك النص تأثيرا عميقا على تصوراتنا وأحكامنا وحتى على علاقاتنا فيما بيننا. بشكل عام هذا موضوع الورقة البحثية التي سندرسها. إن القيمة العلمية الوحيدة التي يمكنها تبرير دراسة النصوص، كبنية، على نحو مستمر هي أنها (أي النصوص) تمثل الأداة الوحيدة، تقريبا، لإنتاج المعاني العميقة[2]، وأن هذه المعاني هي أساس التواصل الإنساني في أبعاده الحضارية، وبالتالي أساس الاجتماع البشري برمته. يبقى الآن مسألة كيف تؤثر النصوص على مسار حياتنا الاجتماعية؟ هذا ما نريد فهمه في هذا المقال. بالنسبة للّسانيات النصية فإن النصوص تشير إلى أساليب تواصلنا اللفظي، وإذا صحت عبارة رولان بارت لا يوجد شيء خارج النص، فإن التواصل غير اللفظي سيكون معنيا هو الآخر إلى جانب الأشكال الثقافية غير اللغوية[3]، أي سيكون جزءً من منظومة نصية تشمل كل شيء. وهذا رغم كون النصوص وحدات لغوية منعزلة تماما عن الحدث الكلامي، لأن تعريفها يتأسس فقط على وجود الكلمات ضمن نسق من الترتيب المنطقي تقتضيه الجملة[4] ، وذلك لبناء معنى معين. وبما أن النص وحدة بنيوية لغوية أكبر من الكلمة والجملة، فإن هذه البنية ضرورية لفهم الكيفية التي يُنتج بها المعنى، بل وأيضا لفهم كيف يحدث التأثير النصي، وهذا هو الأساس، ثم يستمر ذلك التأثير لمدة زمنية تتجاوز سياق إنتاجه بكثير[5]. إن فهم النص كأداة تواصل يعني تقريبه من مساحة التداول، هنا على مستوى هذه المساحة يصبح للنص، إلى جانب وظيفته التواصلية، وظائف سوسيولوجية كثيرا ما نشعر بسطوتها داخل المحاكم والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، بهذه الطريقة فقط نستطيع تحقيق الفهم الذي نريده ثم الحكم بعد ذلك على (تأثيرية) النصوص خارج بيئتها الأصلية[6]. وسيتطرق هذا البحث إلى أهم الوظائف التي يمكن للنص أن يقوم بها. إن إثبات هذه الوظائف، أو على الأقل الوظيفة الأساسية التي نريد لفت النظر إليها، سيجعل سؤال هذه الورقة: هل للنصوص سلطة علينا؟ وكيف تؤثر النصوص التي لم نشارك في إنتاجها (أي القديمة أو التراثية) على تفاصيل حياتنا الاجتماعية؟ أكثر وضوحا وأكثر منطقية ضمن أسئلة أخرى

---

[1] لاحظ كيف تتحكم النصوص القانونية والتشريعات الوضعية التنظيمية التي يسنها المشرعون في أدق تفاصيل حياتنا، وكذلك تفعل النصوص التي تفسر النصوص المقدسة، وحتى نصوص النظريات العلمية تعمل على الحد من حريتنا وتقييدنا ضمن تصورات لم نشارك في صياغتها.

[2] هذا يعني أن الأنظمة الإشارية الأخرى تنتج معاني بسيطة لها وظيفة اتصالية مثل إشارات المرور أو حتى لغة الصم الاشارية.

[3] في كتابه أساطير 1973، يعلن بارت كيف انتهت قراءة صور ثقافية تختلف عن بعضها اختلافا شاسعا مثل المصارعة واللُعب ومساحيق الصابون وبرج إيفل والدراجات النارية إلى وصفها نصوصا.

[4] الجملة هي البنية الأساسية للنص وليست الكلمة، لأن هذه الأخيرة تفقد معناها داخل الجملة، أو يشارك معناها الأساسي في بناء المعنى السياقي للجملة. انظر النظرية السياقية.

[5] هذا يعني أن المنهج البنيوي ضروري إلى جانب المنهج الأسلوبي في تحليل النصوص، بل حل مثل هذه الإشكالية (إشكالية حل النصوص) يقتضي تضافر أكثر من منهجين .

[6] نقصد بالبيئة الأصلية تلك الظروف الأولى التي أدت إلى إنتاج النص، أي نص كان. إن المفسرين (للقرآن العظيم) غالبا ما يلجئون إلى نصوص الشعر (الجاهلي) لفهم معاني الكلمات، باعتبار البيئة الأولى كانت تمتلك المعاني الصافية للغة قبل توسع نطاق التداول.

ليس لها همٌ سوى عزل النص عن سياقه الاجتماعي الذي أُنتج فيه[1]. إن البحث في كيف يصبح النص فاعلا في سياق غير سياقه الأول، سيسمح بتشكيل أيديولوجية عن العلاقة الباطنية (والعميقة) بين الأنساق الرمزية والأنساق الاجتماعية. إننا بالأحرى نريد فهم تلك العلاقة الجدلية والغامضة في الآن ذاته بين النصوص وسياقاتها الاجتماعية، بل وتلك السياقات التي تأسست بعدها بقرون كثيرة.

يُنتج السياق الاجتماعي النصوص ثم تُنتج النصوص سياقات اجتماعية، إنها جدلية تشبه تماما جدلية غاستون باشلار حيث ينتج العقل المعرفة ثم تنتج المعرفة عقولا، وتشبه تماما جدلية ماكلوهان حيث ينتج الإنسان تكنولوجية (وسيط) ثم تنتج تلك التكنولوجيا مجتمعات. إن تقريب هذا الفهم إلى النظرية العامة التي يسعى علم اجتماع اللغة إلى تأسيسها هو هدف أصيل نرجو تحقيقه. إذن مرة أخرى، إن هدفنا الأساسي هو الفهم الذي تسعى إليه المقاربات النوعية[2]. وبالتالي لا حاجة لنا في تحديد نص معين ضمن التراث (العربي) لقياس تأثيره على سياق اجتماعي لاحق، حيث وصل ذلك النص إلى جيل مختلف تماما عن جيل الإنتاج، بطريق المشافهة أو الكتابة، وبسند متواتر أو آحاد، كان النص حقيقيا أم أسطوريا. ما يهمنا فعليا هو مستوى التحليل والتنظير الذي يمكن تحقيقه ضمن رؤية شاملة ومجردة للعلاقة بين متغيرات الإشكالية[3]، وهذا من شأنه أن يتجنب الافتراض الصارم الذي تقتضيه الدراسات الكمية، ورغم وضوح الهدف فإن النتيجة التي نتوقع الوصول إليها تبقى بعيدة عن البيان الذي تنشده النصوص ذاتها. لكننا إذا استطعنا الوصول إلى طرح سؤال غير متوقع فسنعتبره نتيجة حاسمة في تحقيق هدفنا الذي قلنا بأنه الفهم وفقط. وقبل الشروع في بناء تساؤلات الإشكالية رأينا أن نعلن منذ البداية أن مقصودنا بالاستخدام الاجتماعي للنصوص ليس المعنى المتداول الذي يشير إلى استخدامنا للغة في المواقف المختلفة، وإنما نريد قلب هذه المعادلة لتصبح كيف تستخدمنا اللغة في تشكيل مواقفنا المختلفة من خلال النصوص الأساسية في حياتنا[4]، وهذا هو المدخل الذي من خلاله نقترب من فهم ظاهرة تأثير النصوص على حياتنا الاجتماعية. وهذا بدوره يطرح سؤالا آخر ماذا نقصد بالنصوص الأساسية إجرائيا؟ باختصار، هي كل نص يحمل دلالة مرتبطة بمختلف جوانب الحياة ومن هذه النصوص: النص الديني (القرآن والسنة مثلا)، والنصوص التراثية (التفاسير وكتب الفقه مثلا) والنظريات العلمية، والمواد القانونية، والخطابات السياسية والشعارات، واللافتات الإشهارية، والأمثال الشعبية والشعر. كل هذا يمثل في هذه الدراسة مصطلح (النص). أما المقصود (الإجرائي) من الوظيفة الاجتماعية للنصوص، هو فهم السلطة (بمعناها الواسع) التي تمارسها النصوص المذكورة أعلاه على استغراقنا في اليومي أي على حياتنا اليومية، وعلى تمثلاتنا للأشياء المحيطة بنا، وعلى مجمل الأحكام التي نتصورها، وهذا الموضوع ،لا يمكن لعلوم مثل اللسانيات أو علم الأسلوبية أو تحليل الخطاب الاقتراب منه، لأنها لا تملك أدوات التحقق من وجود هذه السلطة فعليا على مستوى اجتماعنا. وهذا يعني أن إعادة بناء مفاهيمنا وتصوراتنا للعالم، من وجهة نظر نصوصنا التي هي في الأصل نتاج عقولنا، سيكون في إطار علم اجتماع اللغة أو أنثروبولوجيا التواصل. نريد أن نصل إلى أن النصوص هي من يُوجِد الوقائع بل والمجتمعات وليس العكس، فالنصوص الماركسية هي من أوجد المجتمعات الاشتراكية في بداية القرن العشرين، والنصوص الدينية هي من أوجد مجتمع المدينة المنورة، وأيضا دولة (مدينة) الفاتيكان ودولة (إسرائيل)[5]. وعلى هذا الأساس نبدأ

---

[1] إن البحوث البنيوية تبدأ داخل النص وتنتهي داخله، فهي عقيمة من حيث فهم تفاعلات النص الخارجية.

[2] مثلما تقترب المناهج النوعية من المجموعات البشرية لفهم معاني الأشياء في ثقافتها، تقترب أيضا من النصوص لفهم ماذا فعلت بأولئك البشر أو ماذا فعل البشر بها.

[3] سنكتفي هنا بتأويل نصوص نصر حامد أبو زيد ونصوص محمد عابد الجابري ونصوص محمد أركون. ولا يعني ذلك أن الكاتب يؤيد طروحاتهم ، وإنما ما قام به هؤلاء من استدعاء الكثير من نصوص التراث سيغني عن التمثل بنص معين، وستكون نتائج دراساتهم أساس تأويلنا لا غير.

[4] النصوص الأساسية في حياتنا الاجتماعية كثيرة يمكن ذكر بعضها: النصوص المفسرة للقرآن والسنة، القوانين الوضعية والنصوص التنظيمية، الإعلانات المختلفة .. الخ.

[5] انظر المبحث السابع في هذه الورقة

هذه الدراسة: أولا نعرّف النص ثم نسرد تطوره التاريخي، وبعد ذلك نقدم نظرية لتفسير اتصال النصوص (التناص). رابعا نقيم مقارنة بين الخطاب والنص، ونتبعه بالحديث عن الحِجَاج الخطابي، وأخيرا نناقش الاستخدام الاجتماعي للنصوص ونقوم بتحليل النتائج.

2. تعريف النص:

لقد تأسست تعريفات كثيرة لتقريب مفهوم النص إلى التداول العام. ومن أهمها تلك التي تُبرِز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعيّنة، خاصة الأدبية. لكننا لا نصل إلى تحديد واضح قاطع بمجرد إيراد التعريف، بل علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة، لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب، هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية[1]. وقبل تحليل مفهوم النص إلى المتغيرات المكون منها، فإننا سنضع تعريفا جامعا للنص، ثم نسرد (بعد ذلك) التطور التاريخي لتشكل هذا المفهوم.

يشير مصطلح **Text** عند الغربيين (معجم أكسفورد الانجليزي ولاروس الفرنسي) إلى النص المقدس أو الكتاب المقدس (أي الإنجيل) أو إلى قطعة صحيحة الإسناد من النص المقدس[2]. ويشير مصطلح **Discours** إلى الخطاب بمعنى الكلام، والكلام فعل فردي تتحقق من خلاله اللغة، ويبدو من الإشارتين أن هناك اختلاف حول دلالة المصطلحين، حيث يتجه النص إلى الثبات، ويمكن القول أن هناك آراء متعددة في هذا الشأن، فبعض الباحثين يرون باستخدام المصطلحين بدلالة واحدة دون أي فروق دلالية. ويرى آخرون (وهذا على الأرجح هو الصحيح) أن النص غير الخطاب، ويرجع سبب الخلاف إلى طبيعة الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه الدارس. حيث يذهب التداوليون[3] إلى أن النص يستعمل للدلالة على البنية النظرية المجردة، يقول "فان دايك "عن النص أنه البناء النظري المجرد المنظور إليه عادة تحت اسم الخطاب. أما الخطاب فهو الوحدة اللغوية الملفوظة (أي استعمال الصوت في التعبير اللغوي)، بينما معظم التداوليين يرونهما مترادفين. فيُنظر، بناء على هذا، إلى النص على أنه كائن لغوي يطلق على متواليات (لغوية) تؤدي المعنى والشكل الصوتي لمجموع الكلام، فالنص حدث اتصالي، ولهذا فإن أهم عناصر تعريف النص يجب أن تشير إلى عملية التجانس أو التماسك التي تربط بين الجمل التي يتكون منها النص[4]. حتى يستطيع النص تحقيق هذه الوظيفة (أي الاتصال). فالنص، إذن، هو الشكل الذي تتخذه اللغة عندما تكون في وضعية التعبير. وإذا عدنا إلى الأصل العربي القديم وجدنا أن النص يعني الرفع، رفعك الشيء وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ[5]، يقال نص الحديث ينصه نصا أي رفعه، فالنص أصله منتهى الأشياء ومبلغها[6]، ونصّ الشيء عيّنه وحدده[7]. ويعرّف النص على مستوى الاصطلاح بأنه متتالية من الجمل المترابطة فيما بينها وفقا

---

[1] فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت: عالم المعرفة، 1992)، ص 211

[2] انظر التطور التاريخي لمفهوم النص في الفقرة التالية من هذا المبحث.

[3] ويعود الاستعمال الحديث وكذلك الاستعمال الحالي للتداولية pragmatics إلى تأثير العقيدة الفلسفية الأمريكية "البراغماتية". فقد ساعدت التأويلات التداولية للسيميائية ودراسة الاتصال اللفظي في كتاب "أسس نظرية العلامات" للفيلسوف جارلس موريس عام **1938** في التقريب بين السيمياء واللسانيات.بالنسبة لموريس، تدرس التداولية علاقات العلامات بالمؤولين في حين أن علم الدلالة semanitcs يدرس العلاقات الشكلية بين علامة وعلامة أخرى. وعن طريق توسيع مفهوم البراغماتية ليهتم بمعاني المحادثات، فقد ميزت الدراسات بين نوعين من المعنى هما المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي وصارت التداولية تتمركز حول البعد العملي للمعنى أي معنى المحادثة.

[4] عكاشة محمود ، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال(الاسكندرية: دار النشر للجامعات، ط1، 2005)، ص 43

[5] ارجع إلى: ابن منظور في اللسان

[6] ارجع إلى: معجم اللغة العربية المعاصرة

انظر أيضا: شرشار عبد القادر، **تحليل الخطاب السردي وقضايا النص**، (الجزائر: دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2009)، ص 33

[7] ارجع إلى: المعجم الوسيط

وفقا لقواعد اللغة[1] . وهذا التعريف يصلح حدا للخطاب أيضا. وهو عند الزركشي اللفظ الدال على الحكم باسم المحكوم فيه سواء أكان ذلك النص محتملا للتأويل والتخصيص أو غير محتمل[2]. ويتفق معه الشافعي، من وجهة نظر أصولية، بأنه، أي النص، كل خطاب عُلم ما أُريد به من الحكم سواء كان مستقلا بنفسه أو علم المراد به بغيره[3]. أما على مستوى اللسانيات فترى جوليا كريستيفا أن النص جهاز عبر لساني، يعيد توزيع اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصلي . فالنص من حيث هو مجموعة من الدوال التي تشير إلى معاني معينة له وظيفة إيصالية، وتعني الايصالية أن النص جماعي بطبعه، فهو يفقد إنتاجيته إن لم يجد من يفهم رسالته[4] ، ويرى رولان بارث أن النص نسيج من الكلمات المنطوقة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا، والنص هو الذي يوجد ضمان للشيء المكتوب[5]. فالنص ككل متناسق ومنسجم مرتبط بالجانب البنيوي للّغة والكتابة ليست إلا الشكل الذي يجسده.

في الأخير نقول أن النص هو بنية لغوية بحتة مكونة من الكلمات والجمل، وبالتالي هو شكل اللغة والكتابة حافظته، مرتبط بالكلام أي (الخطاب). وإذا كان الشكل شيء ثابت، والكلام متغير، فإن المعنى الذي يعبر عنه النص متعدد قد يقصد به شخص أو مكان أو فعل أو زمان ..الخ، ويُدرَس (النص) في إطار اللغة. بينما الخطاب يتضمن الجانب اللغوي وغير اللغوي المتمثل في السياق الخارجي كتحديد الأشخاص وطبيعة الفعل أو الحدث ومكان وزمان الفعل، لذا فتحليل الخطاب يتجاوز تحليل النص (منهجيا) باعتباره تحليلا داخليا (بنيويا) لا يتجاوز إطار اللغة، أما تحليل الخطاب فيتطلب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنجازه.

3. التطور التاريخي لمفهوم النص:

كان النص طيلة تاريخه ولازال موضعا للذوق والنقد[6]، وهذا يعني أن تطور النقد متوافق مع تطور النص ذاته، فتاريخ النقد الأدبي[7] منذ أن كانت وظيفته اكتشاف عيوب المعاني (النقد القديم) إلى غاية اكتشاف نظرية الانتحال (طه حسين) والتناص (جوليا كريستيفا)[8] أصبح النص في حالة (مجاوزة) لظاهرة التمظهر اللغوي، حيث انضمت إليه أشكال ثقافية غير لغوية (رولان بارث) تبين هذه التطورات الجوهرية على مستوى النقد كيفية تطور النص على مستوى البنية الأساسية، أما على مستوى الدلالة فتشير تعريفات النص الأولى (كما قلنا في الفقرة الأولى) في معجم أكسفورد الإنجليزي إلى الكتابات المقدسة (يعني كلمات الكتب المقدسة وجملها نفسها، وعلى هذا فالنص هو الكتب

---

[1] خميري حسين ، **نظرية النص** (**الجزائر**: منشورات الاختلاف، ط2007،1)، ص 48

[2] الحميري عبد الواسع ، **الخطاب والنص: المفهوم، العلاقة، السلطة** (**بيروت**: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2008)، ص 40

[3] نفس المرجع، ص 39

[4] سعد الله محمد سالم، مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني نموذجا (الأردن: جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، 2007)، ص 127

[5] بارث رولان ، نظرية النص ترجمة: محمد خيري البقاعي (بيروت: مجلة العرب والفكر العالمي، عدد 1988)، ص 89

[6] تتفق دوائر المعارف على أن النقد الأدبي هو علم دراسة النص. إلا أن دائرة معارف برينستون توسّع دائرة النقد الأدبي إلى أربعة مجالات: النقد الفني، والنقد الاجتماعي، والنقد العملي، والنقد النظري.

[7] يعرف معجم ويبستر النقد الأدبي بأنه فن الحكم على جماليات أو أخطاء الأداء الأدبي أو أي إنتاج من الفنون الجميلة، وأنه فن تقدير الموهبة ومزية أي أداء.

ولازال النقد الأدبي رغم تطور تعريفاته يحمل الدلالات الكلاسيكسية كالتمييز، وإخراج الزيف، ومعرفة المسالب، والوزن الجيد للنص بالمناقشة والنظر إليه والرعاية. انظر علم النص، ص 168-169

[8] كان النقد العربي القديم يقصُر قضية الشعر في الألفاظ والمعاني والعلاقة بينهما، فإذا ارتفع عن هذه القضية تحدث عن الائتلاف بينهما فيما سُمي بالنظم ، ثم تجاوز هذه المرحلة النقدية فميز في الشعي شيئا سُمي الأسلوب وآخر سُمي المنزع. انظر: مدحت الجيار، علم النص دراسة جمالية نقدية، جامعة الزقازيق، القاهرة، ط1، 2005، ص 170-171

المقدسة ذاتها) وهذا إلى غاية أواخر القرن الرابع عشر، كما أنه يمكن أن يعني أيضا قطعة قصيرة صحيحة الإسناد من الكتاب المقدس[1]، ويعني النص (المقدس) عدم القابلية للتجديد، أي تعاليه عن الواقعية التي تقتضي التبديل والتحريف والتصحيف (وهي أفعال لاحقت الكنيسة منذ القرن 15) ويمكن أن يكون موضوعا لاتساع مناسب للمعنى، كما في الموعظة[2]، وسرعان ما تم التوسع في استعمالات تشمل إدراج أي شيء مكتوب أو مطبوع باستخدام الكلمات، (أي البنية التي تشكلها الكلمات عند ترتيبها لبناء الجمل). القرن الخامس عشر، وهو قرن طباعة (غوتنبيرغ)، هنا أصبح (النص) يشير إلى النسخ غير الأصلية للمخطوطات القديمة، ومع مرور الوقت طغت عليه الشكلية والكثرة، أصبح النص نسخة مكررة لكنها صحيحة الإسناد لأي موضوع لغوي[3].

وأخيرا صار (النص) يستعمل، في القرن السابع عشر، ليشير إلى موضوع الحديث، وسيكشف هذا القرن عن بعدين أساسيين في حياة النص، تم الاتساع، من خلالهما، في المرجعية الأصلية للنصوص: البعد الأول، يبدأ من الكتابات المقدسة وينتهي إلى كل الموضوعات اللغوية، والثاني، يبدأ من الكلمات الفعلية إلى ما تتوجه إليه الكلمات (الأشياء)، وهو ما يمكن أن نسميه بـ (مادة الكلمات). ولم يبتعد الاستعمال الشائع لكلمة (النص) اليوم عن البعد الثاني كثيرا.

في الاستعمال الشائع، يشير النص إلى ما تعود النقاد الجدد أن يسموه بـ (الكلمات المدونة على الصفحة). حيث يشير (نص خطاب الرئيس) إلى الكلمات الفعلية وطريقة ترتيبها وبنية الجمل بمعزل عن حدث الكلام نفسه. لكن الحقيقة التي لم يدركها هؤلاء أن النص يثبت حدثا ما ويجعله حاضرا بصفة دائمة. وبهذا المعنى، تجاوز النص، دون رجعة، السياق الأصلي الذي أُنتج فيه، بما يجعل موضوعه متعالٍ عن الزمان والمكان، ويمكن بذلك مشاركته جميع الثقافات، ومعاينته على نطاق واسع[4].

بهذا التشارك، صار النص في بداية القرن الحادية والعشرين مقترنا باستخدامات تكنولوجيا المعلومات الجديدة، كما في معالجة النص، وتحرير النص، وإرسال النص. بل إنه رسّخ حضوره في الدراسات الأكاديمية، على الأقل من ناحية النقد الأدبي حيث أصبح التأريخ الأدبي والبلاغة وعلوم التواصل والأسلوبية والأنثروبولوجيا وبقية العلوم الإنسانية ضرورية لفهم النصوص وللوصول إلى عمقها التاريخي، كما هو الحال حين توصف الإنسانيات أحيانا بأنها الحقول القائمة على النص.

وفي أواسط القرن العشرين، عنيت لغويات النص بوحدات في اللغة أكبر من الكلمات أو الجمل باعتبارها ضرورية لفهم الكيفية التي ينتج بها المعنى. على أن النص تمتع بحياة ثانية، لأنه أصبح مفهوما تقنيا عاليا وخصبا في النظرية الثقافية الأكاديمية[5]. وبهذه الخصائص الفائقة التي اكتسبها النص طيلة تاريخه أصبحت النصوص مؤهلة لدخول المجال العام معلنةً عن نزعتها الإشهارية التي أسست لنص الشارع ونص اللافتة.

4. نظرية لتفسير اتصال النصوص (التناص):

أولا ما الذي يعنيه اتصال النص؟[1] وهل لهذه الظاهرة علاقة ببقاء النص حيا بعد عصر إنتاجه، وبالتالي ظهور تأثيراته الاجتماعية اللامحدودة؟ يأخذ الفكر الإنساني شكل المتتاليات الحسابية، أي أن آخره مرتبط بأوله على هيئة مستمرة ومنتظمة لا تعرف الانفصال،

---

[1] بينيت طوني ، غروسبيرغ لورانس ، موريس ميغان ، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ت: سعيد الغانمي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010)، ص 687

[2] نشير إلى أن الفقهاء المسلمين يطلقون هذا الاصطلاح كذلك للإشارة إلى نصوص القرآن والسنة .

[3] يتكون النص من البنية أي مجموعة من العناصر التي ترتبط فيما بينها بشبكة من العلاقات المختلفة، وينتج التركيب عن البنية، والتنظيم ويعني التراتب الذي يضمن إنتاج المعنى، والتركيب والتنظيم يقتضيان التكامل والانسجام بين عناصر النص وهو ما يسمى بالكلية.

[4] طوني بينيت، مرجع سابق، ص 688

[5] طوني بينيت، مرجع سبق ذكره، ص.ص 688-691

فأصل المعرفة الحاضرة معرفة سابقة مرتبطة بها، ولا نسمي هذا الترابط تراكما وإنما هو تواصل معرفي يمكنه تفسير التواصل الإنساني برمته، إن وجودنا التاريخي مُتحقق بشكل فريد داخل نصوصنا التراثية، تلك النصوص التي تعد نتاجا خالصا للفكر الإنساني[2]، إن التسلسل المعرفي الذي يصف تواصل جهود هذا الفكر سيجعل تلك النصوص تبدو كأنها طبقات كلسية مترسبة فوق بعضها بعض، وهو ما يسميه بارث بجيولوجيا النصوص[3] التي تمثل كل مراحل تطور فكر الإنسان، بل تعبر حتى عن مراحل وجوده. لذا لا يوجد شيء على صعيد هذا الفكر يمكن أن يأتي من العدم، فلابد من وجود السند الأول الذي قامت عليه كل منظومتنا الفكرية. ولا تطور يأتي من فراغ، فكل عصر يؤسس للقادم عليه، ولا يستوفي ما في يده من قضايا إلا حسب ما تقتضيه اللحظة الحضارية التي يعيشها، وحسب الأفق الذي يتطلع إليه إنسان ذلك العصر، وربما حسب مقتضيات الدولة المسيطرة[4]. ولا ندري بالضبط كيف سنضبط حركة اتجاه الفهم لتحديد مصدر التأويل، هل نتجه نحو النصوص السابقة لفهم النصوص الحديثة وبالتالي يكون التراث مصدر الدلالات، أم نفهم النصوص السابقة على ضوء النصوص الحاضرة فتكون هذه الأخيرة مصدرا للتأويل، وعلى كل حال فإن أبو حامد الغزالي قد حسم مسألة الاتجاه هذه، عندما قدم مشروع إحياء علوم الدين الذي يقوم على افتراض أساسي يجد في الحاضر نموذجا للفساد والانحراف عن المعايير الأصلية للدين، في حين يكون الماضي نموذجا للنقاء وتحقيق الوجود الفعلي للوحي[5]، وبالتالي فمن المنطقي أن تكون العودة إلى الماضي لحل مشكلات الحاضر هي الاتجاه الصحيح ضمن طبقات النصوص، أي أن الاتجاه يكون من أعلى إلى أسفل أو من السطح إلى العمق.

لقد أخذت مسألة اتصال النصوص منحى آخر مع جوليا كريستيفا من خلال فكرة التناص أي حضور النصوص داخل بعضها البعض، فالنصوص يلبس بعضها بعضا كما تلبس المعاني بعضها بعضا، أما الحضور فلا يعني الشرح وإنما يعني التوسل بوجود النص ذاته. وهذا الأمر يتجاوز الاقتباس المتعارف عليه[6]، ويتجاوز كذلك الانتحال والسرقة التي كانت موضوعا أصيلا للنقد الأدبي العربي القديم والحديث. لم يكن هذا هو موضوع كريستيفا في البداية، فقد كان بحثها عن الجوانب الأيديولوجيا المتخفية داخل النصوص، وإذا بها تكتشف ظاهرة أدبية تتمثل في دخول نصوص كثيرة في تركيب نص واحد[7]، لكن مفهوم التناص لم يكن وصفا لهذه الملاحظة، وإنما سيعني فيما بعد علاقات التأثير والتأثر بين طبقات النصوص، وتأثير استحضار النص من سياقه التاريخي على سلطته الشرعية والأدبية. وليس واضحا ما إذا كانت العلاقات

---

1 لقد أخذ هذا السؤال (المباشر) كل اهتمام جوليا كريستيفا، حيث أدى بها إلى صياغة نظرية جديدة في اللغة أساسها حضور النصوص القديمة في النصوص الجديدة، وربما هذا ما يفسر لنا بقاء النصوص حية بعد موت أصحابها.

2 باستثناء نصوص الوحي

3 القمري بشير، مفهوم التناص بين الأصل والامتداد، حالة الرواية، مدخل نظري (بيروت: مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60 – 61 لسنة 1989)، ص 105

4 الجيار مدحت ، علم النص دراسة جمالية نقدية (القاهرة: جامعة الزقازيق، ط1، 2005) ، ص 172

5 أبوزيد نصر حامد ، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط 01، 2014) ، ص 246

6 الاقتباس بمعنى الاستشهاد، ونقصد به نقل وحدة من نص إلى نص آخر، وذلك يعني إعادة إنتاج النص (النص المستشهد به) عندما يقتطع من (النص القديم) ثم يُفعَّل في (النص الجديد). وإذا كان هذا النص المستشهد به على حاله بالنظر إلى دواله، فإن تحويل موقعه من نص إلى آخر يغيِّر دلالته بحيث ينتج قيمة جديدة، ويتسبب في تحويلات تؤثر في دلالة النص الأصلي والنص المستضيف له معا، عند حدود الاتصال بينهما. بتحديد الاستشهاد بهذا المعنى يقترح أنطوان كومبانيون اعتباره طريقة في الكتابة الأدبية التي تتسم بتحويل النصوص والتوفيق بينها.

7 قد تتماثل الأفكار مع بعضها دون أن يكون هناك اتصال حقيقي بين الكاتب والنصوص القديمة لأن البشر يفكرون بنفس الطرق تقريبا، وهذا إذا لم يكن هناك تشابه قريب في الأسلوب.

الحوارية أو حوارية باختين وشاعرية دستويفيسكي، بقوتهما الأدبية والجمالية، داخل النصوص ستكونان ضمن مفهوم التناص أو مقابلة له[1]. إذن التناص ليس هو الحضور في حد ذاته، وإنما هو التأثير الذي ينشده النص الجديد من استحضار النص القديم، وإذا كان هذا التعريف صحيحا فإن ذلك يعني تجاوز سطح النص الذي يكتفي بإعلان حضور نصوص متعددة في نص واحد.

لقد ظفر تعريف جوليا كريستيفا (على تشابكه) باهتمام خاص، لأنه يطعن في كفاية النظر إلى السطح (ظاهر النص) ويبرز ما في العمق من شبكات متعالقة وأيضا من تكاثف المعنى. فهي، أي كريستيفا، ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها تأسست بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها. وإذا سلمنا مع كريستيفا بهذا الطرح فإن النص سيكون لا محالة جهاز عبر لغوي. ويعني هذا مرة أخرى بأن النص يعيد تنسيق نظام اللغة عن طريق تغيير العلاقة بين الكلمات في إطار أيديولوجي عام يؤمن به النص منذ البداية، مشيرا إلى دلالات غير مباشرة عميقة وكامنة داخل وجدان النصوص السابقة، ثم يربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معه، ليعلن في النهاية عن دلالات تأويلية تُدخِل الفهم إلى رحاب تحليل الخطاب. والنص نتيجة لذلك ليس إلا محض عملية توليدية، وهذا يعني أمرين: أولا، علاقته (النص) باللغة التي تأسس بها ولها، وهي علاقة استناد وتجلي، حيث يستند النص دائما إلى اللغة، وتتجلى هي من خلاله، حيث تظهر اللغة داخل النص من خلال إعادة التوزيع (عن طريق التفكيك وإعادة البناء) مما يجعله (أي النص) صالحا لأن يعالج بمقولات منطقية أكثر من معالجته بالمقولات اللغوية الصرفة، لأن المنطق مجرد يشير إلى اللغة مباشرة، بينما تشير اللغة إلى العالم مباشرة، وحيث يتعالى المنطق عن العالم فإن اتصاله بالنص يكون أولى. إذن يظهر النص باللغة وتظهر هي به. وهذا لا يشكل متغيرا أساسيا في مفهوم التناص. ثانيا، يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى، وهذا الاستبدال لا يمكن فهمه أو تصنيفه إلا على أنه عملية تفاعلية، ولا يبتعد هذا الفهم كثيرا عن مصطلح التناص لكريستيفا، هذا إن لم يكن هو ذاته. ففي فضاء النص تتقاطع مقولات عديدة، كانت راسية في بحور النصوص الأخرى، مما جعل بعضها يحيّد البعض الآخر وينقضه[2]. وكأن النص الجديد يأتي ليفتح مساحة خاصة بصراع النصوص القديمة من أجل إثبات أحقيتها بالمرجعية الأساسية، أو ربما لمنحها حياة جديدة في عصر مختلف عن عصرها الأصلي. إذن لا يتحدد مفهوم التناص بهذا المعنى في حضور النص ذاته داخل نص آخر، وإنما في التأثير الذي تمارسه النصوص القديمة (الدخيلة) على النص الجديد وفقا لسلطتها التاريخية وقوتها المنطقية، مما يسمح بقيام نوع من الإذعان والتسليم داخل نص واحد لصالح الأسبق دائما[3]. إن دخول نص على نص آخر في حد ذاته

---

[1] يجعل التناص النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع النصوص الأخرى. عن طريق التلميح والتصريح والإحالة والاستشهاد. وبعيدا عن مستويات التطابق تظهر فروقا عميقة بين أشكال العلاقات التي يمكن للنص أن ينشئها مع نصوص أخرى؛ هنا يميز جيرار جنيت بين خمسة أنواع من العلاقات وهي:

1 . التناص بالمعنى الذي صاغته جوليا كريستيفا وهو محصور في حدود الحضور الفعلي للنص في نص آخر .

2 . علاقة التوازي أي العلاقة التي ينشئها النص مع محيطه النصي على المستوى الشكلي (العنوان، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية، التصدير، التنبيهات، الملاحظات..الخ).

3- العلاقة التفسيرية التي تربط نصا بآخر؛ بحيث يتحدث عنه عن طريق التلميح دون أن يكون له حضورا فعليا بالضرورة.

4 . النصية المتفرعة وهي العلاقة التي من خلالها يمكن لنص ما أن يشتق من نص سابق عليه بوساطة التحويل البسيط عن طريق الإحالة.

5 . النصية الأصلية وهي علاقة ضمنية لها طابع تصنيفي خالص لنص ما في طبقته النوعية.

[2] Kristiva ،1981 p15

[3] لقد انتشر مصطلح التناص بين الدارسين، حيث تنوعت حدوده بينهم وفقا لتعدد مدارسهم الأدبية، ويمكن أن نعرض في هذا الهامش أهم التعاريف التي تداولها الباحثون حول مصطلح التناص في الخمسين سنة الماضية:

- تعريف جيني لوران: هو تحويل لعدة نصوص يقوم به نص مركزي يحتفظ بمركز الصدارة في المعنى.
- تعريف الناقد الروسي ميخائيل باختين: كل نص يقع عند ملتقى مجموعة من النصوص الأخرى، يعيد قراءتها ويؤكدها ويكثفها ويحولها ويعمقها في نفس الوقت.

عملية أيديولوجية ستنتهي بطريقة ما إلى توحيد التصورات وتسويغ الواقع، وبهذا يصير التناص مفهوما يفسر كيفية اندماج الحاضر في التاريخ أو اندماج التاريخ في الحاضر، فكل نص يجر النص الذي قبله ويدفعه إلى الأمام لتبقى النصوص دائما حاضرة أمام العيان الإنساني، التاريخي والآني معا في زمن واحد. بمعنى أن التناص يجعل التاريخي والاجتماعي، بطريقة ما، لا نشعر بها، قريبا منا، مجاورا لنا. إذن المسألة تتجاوز الدلالة السطحية المعلنة إلى الدلالة العميقة التي تسير بشكل مستمرة وبطريقة ما نحو الماثل أمامنا، ولا أظن أن هناك تعريف أدق من هذا يصلح لوصف الأيديولوجيا.

إذاً، يرتبط بهذه الفكرة، دائما عند كريستيفا، مفهوم النص باعتباره وحدة أيديولوجية، ويرجع ذلك إلى سببين: الأول متعلق بدلالات النص كما أشرنا، والثاني أن إحدى مشكلات البحث اللغوي حينئذ كانت طرح التقسيم البلاغي القديم للأجناس الأدبية جانبا، ليحل محلها أنماط النصوص المختلفة[1]، وأدى ذلك إلى التعرف على خصوصية النظام اللغوي المهيمن على هذه الأنماط، ووضعها في سياقها الأدبي والثقافي الذي تنتمي إليه. وبهذا فإن التقاء نظام النص (كممارسة لغوية) بالأقوال والمتتاليات السابقة التي ضمها إلى فضائه، أو التي أحال عليها يطلق عليه وحدة أيديولوجية[2]، ولا شك أن هذه الوحدة هي في الأساس وظيفة (التناص) التي يمكن فحصها واكتشافها ضمن مستويات مختلفة، ضرورية لبنية كل نص، ويمكن أن نجدها ممتدة ومستغرقة لكل مساحة النص المحدودة شكلا والمتعالية دلالة. مما يعطيها سلطة تشكيل سياقه التاريخي والاجتماعي[3]، فالتناص وفقا لهذا التوجه هو أيديولوجيا في حد ذاته، هذا إذا لم يكن عملا أيديولوجيا جانبيا. ويعلق رولان بارت على هذه الفكرة مشيرا إلى أن نظرية النص هي أولا نقد مباشر لأية لغة وصفية، أي أنها مراجعة لعملية الخطاب. ولذلك عرفت (هذه النظرية) معه تحولا علميا حقيقيا. ما يمكن استنتاجه مع بارت أنه إذا كان يمكن للنص أن يفصح عن نفسه بالتعريفات (اللغة الوصفية)، فإنه يتضح كذلك بالمجاز (غير المعلن صراحة).

- تعريف الناقد الفرنسي ميشال ريفاتير: التناص هو دلالة الكلمات على أشياء مختلفة، ويدل في المستوى السيميولوجي على نصوص أخرى ويحيل عليها. فالتناص بهذا المعنى هو ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل أدبي وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة عليه.
- تعريف دومنيك مانجينو: التناص هو جموع العلاقات التي تربط نصا ما بمجموعة من النصوص الأخرى وتتجلى من خلاله. وهذا التعريف يلغي البعد التحويلي للتناص لصالح البعد العلائقي، وهو ما نحاول أن نتبناه في هذا المبحث، لكن كريستيفا تعارض هذا البعد لصالح البعد التحويلي بقولها التناص هو تقاطع تحويلات متبادلة لوحدات منتمية لنصوص مختلفة.
- تعريف الناقد الأدبي الفرنسي جيرارد جينيت: هو محاولة دراسة العلاقة بين النصوص المكونة لنص معين. وهذا أقرب تعريف لتعريفنا.
- تعريف رولان بارت التناص هو إعادة النص لتوزيع اللغة، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة.
- تعريف ميشال بورو: التناص هو استعمال نص لنص آخر. بمعنى أن التناص ليس إلا خليط ومزج لأعمال سابقة.
- تعريف جيب هاملتون: التناص هو المفهوم الذي يشكل جسرا بين الخطاب الأدبي ومرجعياته، فهو المستودع الذي يفتح النص على روافده، وهو مركز التوافقات الأيديولوجية في النص، وهو الوسيط الذي يجمع النص الأدبي وباقي العناصر الخارجة عنه عن طريق ذلك التقاطع التنظيمي في المتتالية السيميوطيقية، وهو ما يسمى بالأيديولوجيم الذي يسري في بنية النص ويعطيه نسقيته التاريخية والاجتماعية. لقد استطاع هذا التعريف أن يلخص بشكل رائع فلسفة جوليا كريستيفا الأدبية برمتها.
- تعريف الفيلسوف البلغاري تزفيتان تودوروف: هو الحوارية القائمة بين نصوص مختلفة في نص واحد.
- ويتحدث أسوالد ديكرو عن شبكة صلات واسعة وذات مراتب متنوعة يقيم بها النص نظامه الخاص وفقا لقواعد اللغة المحددة سلفا

جمع هذه التعريفات الدكتور محمد سالم سعد الله في كتابه مملكة النص، مع بعض الإضافات. انظر: ص 124 و125

[1] اقتصرت الأجناس الأدبية عند العرب وحتى الغرب قديمًا (اليونان، الجاحظ) على الشعر والنثر، وصنّفوا النثر إلى خطابة ورسالة ومقامة وسجع وحديث، أمّا الشعر فكانت تصنيفاته قائمة على النوع؛ أي الغرض الشعري مثل: شعر الهجاء، شعر المديح، شعر الرثاء، شعر الغزل، والقصة الشعرية.

[2] صلاح فضل، مرجع سبق ذكره، ص 212

[3] Julia, Kristiva,1981, 16

تدين هذه النظرية النقدية لتعريف كريستيفا باستخدام جملة من المفاهيم النظرية مثل الممارسات الدلالية، وتخليق النص، والتناص. فالنص في نهاية الأمر ممارسة دلالية منحها علم العلامات (أو السيميولوجيا) امتيازا خاصا. وإذا تساءلنا عن ماهية الممارسة الدلالية، فالقول هو أنها نظام خاضع للتصنيف، يعطي للكلام طاقته الفاعلة. وبالتالي فإن وظيفة النص هي تجسيد هذه الطاقة. لذا فإن عمل الممارسة الدلالية في هذه الحالة لن يتم إلا عن طريق اللقاء بين الفاعلين واللغة، ويكون ذلك على مستوى النص طبعا، ولا شك أن هذا العمل مثالي. لكن الذي يتطلبه هذا العمل ليس مجرد فعل إدراك الدلالة، بل هو متعدد الجوانب. قد يتجاوز عناصر العملية الاتصالية، حيث لم يعد هناك الآن مكان للتقسيم الكلاسيكي البسيط لعملية الاتصال الذي اعتمدته الألسنية، وهو الباث (المرسل) والقناة والمتلقي، إلا في حالة الاعتماد على ما ورائية الفاعل، أو على التجريبية. لأن النص أصبح عملية إنتاج مستمرة للمعاني بفعل التأويل، وذلك لا يعني أنه نتاج عمل مثل الذي تتطلبه السردية. وإنما هو الفضاء ذاته حيث يكون الكاتب مع قارئه.

إن النص يعمل طوال الوقت على تجديد نفسه، ومن أنى تناولناه وجدناه متفاعلا، حتى ولو كان مكتوبا أي ثابتا فإنه لا يكف عن إعطاء دلالات جديدة، وعن تعهد مدارج إنتاج المعاني. لكن السؤال الذي كان ينبغي طرحه منذ تعرفنا على كريستيفا، هو ما الذي يتفاعل داخل النص؟ رموز اللغة أم النصوص السابقة أم المعاني والدلالات أم الكاتب والمتلقي؟ وهل يمكن تجاوز حدود التناص والقول أن كل هؤلاء متفاعلون داخل النص لا خارجه، وأن تفاعلهم هو من يمنح النص نصيته، وذلك توسيع لمفهوم كريستيفا، وخروجا من مشكلة التواصل التقليدية، إن النص يؤسس الاتصال، ويحدد لغة التعبير، ويعيد صياغة سياق جديد، وبناء لغة أخرى ذات حجم لكنها دون عمق ولا سطح. لأن اتساعها ليس اتساعا شكليا وإنما اتساع الحركة التركيبية أي اتساع الدلالة. لا حدود إذن للنص منذ اللحظة التي خرجنا فيها عن إطار الاتصال الشائع، وعن حدود المشابهة الخطابية[1].

5. الخطاب والنص:

بناء على وجهة نظر كريستيفا وبارث واستحضارهما الكثيف لمصطلح الخطاب في وصف نظريتيهما فهل الخطاب والنص شيء واحد؟ وإذا كانا مستقلين عن بعضهما فما الفرق بينهما؟ نحن في حاجة إلى أن نميز بين الخطاب بمعنى النص الموحد من حيث الموضوع، كتكوين متماسك للمعرفة، والخطاب بمعنى كونه لغة منظمة كشبكة من علاقات المعرفة الاجتماعية، ويجب أن نشير إلى أن مفهوم الخطاب مثَّل في النصف الثاني من القرن العشرين بديلا عن كل من ثنائية دي سوسير اللغة والكلام، وثنائية تشومسكي الكفاءة والأداء[2]. وهنا تكمن قيمة الاهتمام العلمي بالخطاب، والنص كوحدة أساسية في مكونات الخطاب، حيث لا يمكن دراسة الخطاب بمعزل عن دراسة النص. ويُنظر إلى النص على أنه وحدة لغوية، وبالتالي فهو حدث اتصالي، ولهذا نجد أن أهم تعريفاته تشير إلى عملية الانسجام والتماسك التي تتميز بها الجمل التي يتكون منها. فالنص إذن هو بنية اللغة في حالتها التعبيرية، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه رولان بارث في تعريفه السابق، على أن النص نسيج من الكلمات المنطوقة، والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا. والنص هو الذي يحفظ المنطوق إذا كُتب. فالنص يرتبط بالجانب الشكلي للغة، والكتابة تعد الوعاء الذي يحفظه. وهذا الذي قصده بول ريكور عندما قال أن النص هو كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة. أي أن الخطاب إذا كُتِب صار نصا (وليس هذا شرط في وجود الخطاب). وطرح هاليداي تصورا شكليا للنص مقتربا من مفهوم فان دايك بأن النص كل متتالية من الجمل، بشرط أن تكون بين هذه الجمل علاقات ربط، لأن الجمل هي الوسيلة التي يتحقق بها النص. ويميز فان

[1] رولان بارت، مرجع سبق ذكره، ص 93
[2] نفس المرجع، ص 322

دايك بشكل دقيق بين النص والخطاب، إذ أن الخطاب هو عملية الأداء الشفوية أما النص فهو البنية التي تقيّد الخطاب[1]. ولا يرى محمد عابد الجابري وجود فرقٍ بين النص والخطاب إلا في لفظ المصطلح إذ يعتقد أن النص رسالة من الكاتب إلى القارئ تمثل خطابا. فالخطاب باعتباره مقول الكاتب هو بناء فكري يحمل وجهة نظر، وهو من هذه الزاوية يعبر عن فكرة صاحبه ويعكس مدى قدرته على البناء[2]. وهذا الذي عليه الجرجاني. ويرى دي بوجراد بأن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق[3]. ويرى كل من غريماس وكورتاس أن النص يرتبط بالكتابي والخطاب بالشفوي بوصفه ملفوظا، وبالتالي فإن النص يتعارض مع الخطاب وذلك تبعا لمضمون التعبير المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني[4]. أما فوكو فيرى أن الخطاب مصطلح لساني يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، فهو شامل لكل إنتاج ذهني، متجاوز الفردية، إذ قد يعبر عن توجهات مؤسسة أو مرحلة تاريخية أو فرع معرفي كما يعبر عن توجهات الأفراد تماما[5]. في النهاية نقول أن النص هو شكل الكلام وبنيته الثابتة، أما الخطاب باعتباره هيئة تفاعلية، يدخل فيه الجانب اللغوي وغير اللغوي. أي أن الخطاب يسع النص ويتجاوزه في نفس الوقت. وبما أن النص مرتبط بالكتابة فإنه يُدرس عادة في إطار قواعد اللغة. أما الخطاب فهو البنية اللغوية مضافٌ إليها المشاركون في الاتصال، والقصد، والمكان والزمان، وبالتالي هو في حاجة إلى منهج متكامل لدراسته وتحليله. ونضرب هنا مثلا لفهم الفرق بينهما، فعندما يأتي خبر يُعلِم بأن الرئيس قام صباح اليوم بزيارة ميدانية إلى بعض المواقع الاستثمارية وشاركه عدد من الوزراء. فمن حيث الشكل نسمي هذا نصا، أما من حيث التفاعلية فإن هذا خطاب لأنه حدد المصدر والمكان والزمان والحدث، وطبيعة العمل، أي أنه تضمن الجانب اللغوي وغير اللغوي.

6. الحِجَاج الخطابي:

الخطابة أسلوب اتصالي يتمتع بكثير من مزايا الإقناع، لذا فإن الحجاج ضروري لبنائها كضرورة اللغة للنص. وهذا يعني أن الخطابة بنية تقوم على مجموع الأجزاء الممكنة لتحقق الاتصال. عناصر بناء الخطابة عند أرسطو ثلاثة: 1/ وسائل الإقناع وبناء البراهين، 2/ والأسلوب والبناء اللغوي، 3/ وترتيب أجزاء القول[6]. ثم هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو، ومنهم البلاغيون العرب، عنصرا خارجيا مستقلا، لأنه يتضمن الجوانب غير اللغوية كالحركات ونبرات الصوت[7]. ولا يختص بهذه العناصر الخطاب عند اليونان دون العرب، ولا القديم دون الحديث، وإنما الاختلاف كان دائما في العنصر المهيمن في الخطاب وفقا للأسلوب الحضاري للأمم، فلما كان للمنطق أولوية عند اليونان، كان عنصر الإقناع والبرهان طاغيا على الخطابة اليونانية، بينما عُرِف العرب بالفصاحة والبيان، فكان للأسلوب والعبارة والمعنى الصدارة في الخطاب. كما أن اختلاف الموضوعات ونوع المخَاطبين يقتضي تقديم (عنصر) وتأخير آخر، فما يقدم للقضاة في الخطابة القضائية، لا يستلزمه الخطاب السياسي للتأثير على جمهور الناس[8]. وعلى هذا الفهم تعامل أرسطو وعلماء البلاغة من بعده مع أنواع

---

1 حسين خمري، مرجع سبق ذكره، ص 60

2 سعد بولنوار، مرجع سبق ذكره ، ص 64

3 دي بوجراد روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسن (القاهرة: عالم الكتب، ط2، 2007)، ص 06

4 حسين خمري، مرجع سبق ذكره ، ص 46

5 ميشيل فوكو، مرجع سبق ذكره ، ص 09

6 طاليس أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات، بيروت: دار القلم، 1979) ، ص 181

7 العمري محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي (بيروت: إفريقيا الشرق، ط 02، 2002)، ص 20

8 العمري محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي (بيروت: إفريقيا الشرق، ط 02، 2002)، ص 21

الخطابة الاستشارية والقضائية والسياسية. ويترتب عن هذا التصنيف نتائج أخرى فيما يخص بناء الخطب من حيث البراهين والأسلوب وتنظيم القول، لخصها رولان بارث في الجدول التالي[1]:

النوع	المستمعون	الغرض	الموضوع	الزمن	التفكير	الأفكار العامة
الاستشارية	أعضاء المجلس	النصح	النفع	المستقبل	المثال	المحتمل وغير المحتمل
القضائية	القضاة	الاتهام	العدل	الماضي	القياس	الحقيقي وغير الحقيقي
الاحتفالية	الجمهور	المدح	الجمال	الحاضر	تمثيل	الأقل والأكثر

تعتمد الدعوة إلى الإصلاح على إمالة الإنسان إلى الخير وإبعاده عن الشر، والرسالات الإلهية في إطارها العام الذي بعث الله به الرسل جميعا قامت على بيان مراد الله من خلقه، فقدمت للإنسان الحكمة من خلقه وإيجاده. وهذا يعتمد على الإقناع والتأثير. والإقناع والتأثير ممارسة اتصالية بين طرفين أحدهما يريد إحداث تغيير في الآخر، ولما كانت هذه الممارسة أمرا قائما في الحياة البشرية منذ نشأتها، فإن الاهتمام به جاء على قدر قيمته، إذ نلحظ تناوله في علوم وتخصصات كثيرة. وبالنظر المتأني إلى بعض الاهتمامات العلمية والبحثية في أساليب الإقناع والتأثير وممارساته فإننا نجد أن الخلفيات الفكرية والعقدية والثقافية تؤثر تأثيرا بالغا في ذلك، وبالتالي يغلب على النتائج العلمية لدراسة الإقناع والتأثير (كونه ينحو دائما إلى إحداث أثر في الآخر وتحقيق أهداف طرف على حساب الآخر دون الالتزام بالمصداقية في المحتوى، أو مراعاة القيم في أساليب الإقناع) الذاتية والمصلحة، وما نراه اليوم في أساليب الإعلان والدعاية التي وُظِّف فيها المنطق تارة وإثارة الغرائز تارة أخرى في الإقناع والتأثير ومخاطبة الجماهير لخدمة دول أو مؤسسات أو أفراد على حساب المستهلكين وقيمهم وأذواقهم إلا دليل عملي على ذلك. وقد اقترنت بعض دراسات الإقناع والتأثير في بعض مجالات السياسة والإعلام مثلا بغسيل المخ، ثم تم توظيف ذلك في طمس الحقائق وتشكيك الأمم في أسسها ومعتقداتها، وتوجيه أسلوبها في التفكير والتعامل، بل والاستهلاك ونمط المعيشة، بما يخدم مصالح آخرين على حساب الشعوب والأمم المستهدفة.

7. الاستخدام الاجتماعي للنصوص:

سنعود هنا مرة أخرى إلى نظرية جوليا كريستيفا في التناص، متوسلين بمقاربتها ومفاهيمها للإجابة عن السؤال الأساسي المتمثل في: هل للنصوص سلطة علينا؟ سنذكِّر القارئ مرة أخرى بالفكرة الأساسية في نظرية كريستيفا: بأن التناص ليس ذلك الحضور الأنطولوجي للنصوص السابقة في النص الجديد، وإنما هو الحضور الابستيمولوجي، أي تلك القيمة الأيديولوجية للنصوص القديمة التي أثرت على النسق المعرفي للكاتب بحيث دفعته نحو استحضارها في نصه الجديد. إذن التناص ليس هو حضور نص داخل نص، وإنما هو التأثير الذي يريده النص الجديد من استحضار النص القديم، إذن لا يتحدد مفهوم التناص في حضور النص ذاته، وإنما في التأثير الذي تمارسه النصوص القديمة (الدخيلة) على النص الجديد وفقا لسلطتها التاريخية وقوتها المنطقية، مما ينتج نوعا من السلطة داخل نص واحد لصالح الأسبق دائما، وهذا يعني أن دخول منطقة النص الجديد لا يتم إلا عبر بوابات النصوص القديمة. إن مفهوم التناص هو وحده من يستطيع تفسير تلك السلطة الاجتماعية للنصوص، ليس على مستوى الاستخدام العام (التداول) فقط، وإنما على المستوى النظري والابستيمي أيضا.

---

[1] رولان بارث، 1988، ص 210، انظر أيضا: محمد العمري، ص 38 و39

إن تفسير النصوص (السياسية والفكرية) بالنظر إلى سياقها الاجتماعي ليس هو معنى الوظيفة الاجتماعية للنصوص، فالمقصود من هذا العنوان هو فهم السلطة التي تمارسها النصوص علينا في واقعنا الاجتماعي، وهذا الموضوع ،لا يمكن لعلوم مثل علم اجتماع النص أو علم اجتماع الأدب والفن الاقتراب منه لأنه لا يملك أدوات التحقق من هذه السلطة. وهذا يعني إعادة بناء تصوراتنا للعالم من وجهة نظر نصوصنا التي ننتجها بإعمال عقولنا في القضايا الأساسية، لأن النصوص هي من يُوجِد الوقائع بل والمجتمعات وليس العكس، فالنصوص الماركسية هي من أوجد المجتمعات الاشتراكية في بداية القرن العشرين، والنصوص الدينية هي من أوجد مجتمع المدينة المنورة، ودولة مدينة الفاتيكان ودولة (إسرائيل)، والحقوق والواجبات تُرسَّم حدودها بداية داخل النصوص ثم بعد ذلك تجد طريقها إلى عالمنا. إننا بذلك (نحن البشر) وسطاء بين النصوص والعوالم التي نعيش فيها، وليست النصوص هي الوسيط كما كنا نعتقد. فالنصوص في حقيقتها فاعلة، وهي بذلك ليست مجرد كلمات متراصة، وإنما الأفكار الكامنة المترسبة في عمق تراثنا هي من يمنحها حياتها الفاعلة على نحو غير محدود داخل مجتمعات تؤمن حقيقة بالضروري والمقدس ضمن تراث مترامي الأفق.

لقد شكا الفنان ديغا إلى صديقه الشاعر الفرنسي ستيفان مالارميه شح الأفكار في ذهنه، فقال الشاعر: ليس بالأفكار ننظم الأبيات، ديغا، وإنما النظم يكون بالكلمات[1]. إن النصوص التي تُبنى بالكلمات حسب مالارميه ستموت قبل موت صاحبها، وليست هذه هي النصوص التي نقصدها هنا، إن ما نقصده هو تلك النصوص المسكونة بالفكرة والعقيدة التي تخبأ خلفها أيديولوجيا لها طعم يتغير عبر الأجيال، يتذوقه كل جيل حسب لحظته الحضارية والتاريخية، أيديولوجيا تخلق باستمرار مساحات جديدة للأفكار الخلاّقة، التي تستمد قوتها من إيمان صاحبها، لقد أراد ديغا نصا حيا يُبلِّغ عنه بعد موته، تلك هي النصوص التي تملك سلطة اجتماعية تتجاوز حدود المكان والزمان حيث وُلدت لتعيش إلى الأبد. ولا شك أن الأيديولوجيات والفلسفات والنظريات العلمية الكبرى تلبس الكلمات شأنها في ذلك شأن الشعر والرواية، إلا أن الكلمة في حالتها هذه تفقد وظيفتها الجمالية (في حالة الشعر) لصالح الوظيفة الاجتماعية (البناء والتغيير)، إنها وظيفة تقتضيها الضرورة الأيديولوجية، وإذا كان ممكنا، حسب هيغل، إحالة عمل أدبي، مع الحفاظ على معناه، إلى نظام مفهومي، فإن مثل هذا العمل ستكون له نفس الوظيفة التي يقوم بها النص الأيديولوجي.

تتفاعل النصوص مع الواقع من خلال أفعالنا وأحكامنا وتصوراتنا عن العالم، لذا فإن أي استخدام فعلي للّغة سينتهي إلى تأسيس نص من نوع ما، وهذا رغم وجود نصوص ثقافية كثيرة تُعرف بوصفها أشكالا متعددة الوسائط لا تشكل فيها اللغة سوى بعدا واحدا[2]. وإذا كان للّغة وظيفة اتصالية في الأساس، فإن النصوص تتعدى الوظيفة الاتصالية إلى الوظيفة الاجتماعية التي تنطوي على التوثيق والتأريخ وحفظ التراث والتنظيم، وإذا كان للّغة شكلان؛ الناطقية (مجموعة الأصوات الخاصة بالناطقين والمصحوبة بالتواصل غير اللفظي) والكتابية (الخاصة بالألفاظ والتراكيب)، فإن للنص علاقتان، علاقة لغوية بنيوية داخلية (الألفاظ والجمل) وعلاقة خارجية إحالية على العالم الذي يتمثله النص، ويجب الإشارة إلى أن النصوص، في كل أحوالها، هي خطابات، سواء بقيت على حالتها المكتوبة أو انتقلت إلى حالة الأداء (التلفظ)، ويمكن الإشارة إلى الخطاب بطريقتين: خاصة، كتعيين خطاب معين كالخطاب القومي العربي مثلا، وعامة، مجردة كالخطابات اليومية. تملك النصوص، باعتبارها متغيرات تشترك في تشكيل الأحداث الاجتماعية، نتائج العمليات الاجتماعية التاريخية، لذا فإنها تستطيع إحداث تغيير اجتماعي عميق، فهي على الصعيد الابستيمولوجي يمكن أن تحدث تغييرات في المعارف التي نملكها عن أنفسنا وعن العالم

[1] بيار ف. زيما، النص والمجتمع، آفاق علم اجتماع النقد، ت: أنطوان أبو زيد (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013) ص 19

[2] طوني بينيت، مرجع سبق ذكره ، ص 690

(أي يمكن أن نتعلم منها أشياء جديدة)[1]. وعلى المستوى الأنطولوجي يمكنها تغيير الواقع المادي عن طريق المعاهدات والمواثيق، وعلى المستوى الأيديولوجي يمكنها تغيير معتقداتنا وتصوراتنا وقيَمنا، كذلك يمكن أن تحدث نتائج على مستوى الأفراد على المدى الطويل، فعلى سبيل المثال يمكن اعتبار المعايشة الطويلة للإعلانات التلفزيونية والنصوص الدعائية الأخرى عوامل تشكيل هوية الناس كمستهلكين، أو هويتهم الجنسية كذكور وإناث. ويمكن للنصوص أيضا أن تكون سببا في ظهور النزاعات (التسريبات مثلا)، وأن تساهم في إحداث تغييرات في مجالات الفن والتعليم والتربية أو حتى العلاقات الصناعية. ويمكن أن تتضمن نتائجها تغييرات في البيئة المادية، كتغيير التخطيط المدُني، أو الهندسة المعمارية، وتصميم الأسواق والحدائق العامة وواجهات المؤسسات وتصميماتها الفنية، إن أنماط حياتنا بكل تفاصيلها مُمثلة داخل النصوص. وفي الأخير نصل إلى نتيجة مهمة للغاية نعلن عنها في العبارة الآتية: لا تمتلك النصوص سلطة فحسب، بل هي تسهم في إعطاء شرعية (سلطوية) للنظام السياسي، لأنه بها يضع الدساتير ويشرِّع القوانين، وبها يَضَع النُظم الإدارية والدواوين، وبها يصدُر أحكام القضاء، وبها تُعقد الاتفاقيات وتُبرم المعاهدات، وبها يخاطب شعبه زمن السلم والحرب. إنها فعلا كل شيء، ونحن موجودون داخلها ولا يوجد شيء في الخارج.

8. تحليل النتائج:

يبدو أن النصوص تختلف في تأثيرها حسب ما تحمله من معاني، وعلاقة تلك المعاني بالعالم الذي نعيش فيه، وأيضا حسب حضور السابق في الحاضر، فكلما كانت تلك المعاني بعيدة عن تراثنا وعن واقعنا قلّ تأثيرها، وهذا يعني أن العلاقة التفاعلية بين النص والتراث والعالم هي من يحدد مدى سلطة ذلك النص، وعلى عكس ما كنا نعتقد فإن هذه العلاقة تكشف أيضا عن أيديولوجية النص، فالنص يكتسب أيديولوجيته من سلفه أي من تراثه وليس من الواقع، وإنما الواقع سيخضع في نهاية الأمر لسلطة النص. ويمكن فهم هذا الطرح على نحو أفضل من خلال النظر في النصوص الماركسية. باختصار، تتضمن النصوص (التراثية أو غيرها) معاني لها نتائج مباشرة على الناس (معتقداتهم ومواقفهم) وعلى الأفعال والعلاقات الاجتماعية والعالم المادي. إننا لو لم نكن نعتقد أن للنصوص نتائج من النوع المذكور وتأثيرات على التغيير الاجتماعي لما كان من الضروري التركيز على اللغة في الخطاب اليومي للناس، لكن، تخضع هذه التأثيرات لعملية معقدة للغاية تسمى عملية بناء المعنى (يمكن أن تكون هذه العملية في وسائل الإعلام أو خارجها). وإذا بحثنا عن أسباب تأثير النصوص، لوجدنا أن السمات النصية التي أسسنا معارفنا على أنها هي عوامل التأثير[2] ليست ثابتة وغير منتظمة، وهذا لا يعني أن الأسباب موجودة خارج النص، لكن يبدو أن هناك أسباب أخرى متداخلة يصعب فهمها. يقول نورمان فاركلوف أن النتائج الأيديولوجية هي أحد أنواع النتائج التي تسببها النصوص والتي تحظى باهتمام التحليل النقدي للخطاب. وهذا ما يمكن أن نسميه بتأثير النصوص في تثبيت الأيديولوجيات أو دعمها أو تغييرها[3]. وعليه فإنه بات واضحا أن النتائج الاجتماعية للنصوص تظهر من خلال صناعة المعنى أو بالأحرى من خلال توليد المعاني، وربما أن المعاني هي من يملك صناعة النتائج الاجتماعية، وليست النصوص كنصوص (بناءات رمزية). إن هذا الطرح كافٍ للتوجه إلى معالجة النصوص على أنها متغيرات أساسية في الأحداث الاجتماعية الكبرى كالثورات والإنقلابات، وإذا كان النص (نقصد المكتوب) لا يساهم في صناعة المعنى التفاعلي، فإنه على المدى البعيد يستطيع صناعة معاني قابلة لأن تتحول إلى أيديولوجيات تملك استمرارية زمنية وثباتا ثقافيا

---

[1] إن تصورنا بأن الشمس مثلا مركز الكون وأن للأرض محور وهمي يجعلها تدور حول نفسها وحول الشمس ما يخلق تعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة، هو نتاج نصوص علمية رغم أن العقل والمشاهدة يكذبان ذلك. وكذلك الحال مع كل معتقداتنا الدينية والاجتماعية فهي في نهاية الأمر ناتجة عن النصوص.

[2] مثل الشحنات الأيديولوجية، والسمات الدعائية والاستمالات العاطفية، والحجج العقلية وتوظيف النصوص الدينية، والمغالطات المنطقية .. الخ

[3] فاركلوف نورمان، تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ت : طلال وهبه (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009)، ص 35

يتخطيان النصوص الفردية أو مجموعات النصوص، وهذا حال نصوص التراث، التي تختلف تماما، بنيويا، عن النصوص الحديثة. تطورت فكرة بارت عن نصية الأشكال الثقافية إلى مفهوم يشمل جميع الحقول ويضم أي موضوع بحث ثقافي، بما في ذلك النطاق الشامل لوسائل الإعلام، والسلع الاستهلاكية، والمشاهد الطقسية، والفعاليات الاجتماعية مثل الانتخابات والحروب والفعاليات الرياضية والتسوق، والفضاءات مثل مراكز التسوق والجامعات والمدن. وفي الدراسات الأدبية صار يشار إلى بعض الأجناس مثل الشعر الغنائي وأداء المسرحيات بوصفها نصوصا لأغراض التحليل. لم يعد النص، إذن، ذلك البناء اللغوي البسيط الذي يمكن تأسيسه بمعزل عن المعايشة التجريبية، لقد أصبحت الوسائط بكل أنواعها الثقافية نصوصا تمارس حقها في تمثيل الواقع إن لم نقل في تغييره.

لنعد مرة أخرى إلى فكرة التناص، التي تحدثنا عنها سابقا، هذه الفكرة لا تشرح فقط، كيفية تأثر النصوص بعضها ببعض، وإنما أيضا كيفية تأثر الواقع التجريبي بالنصوص، ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك (سلطة النص). وبالتالي ففكرة التناص لم تأت لكشف الملامح اللغوية المشتركة بين النصوص، وإنما لفهم العلاقة التأويلية بين النصوص والوقائع، ففكرة التناص في حقيقتها تنفي الانفصال الزائف بين العالم المادي المتاح تجريبيا وبين تمثيلاته في النصوص اللغوية. لأن النصوص في النهاية أشكال رمزية لتمثيل الواقع، وفي أحيان أخرى لتغييره، وبالتالي فإن للنص (خارج) أو براني بتعبير المسيري كما له (داخل) جواني، وإذا كان تكرُر الوقائع وتشابهها أمر منطقي على مستوى التاريخ، فإن تكرُر النصوص وتشابهها صورة منطقية أخرى تابعة له، والحقيقة أن التناص لم ينعكس على بنية النص فحسب بل على مستوى وجوده الخارجي، إذ لم يعد استنباط المعنى قاصرا على قراءة النص وحده بل على قراءة الواقع كذلك.

9. خاتمة

منذ سيميائية هاليداي ولويس بريتو التي نظرت إلى الفلسفات والإيديولوجيات السياسية والنظريات العلمية على أنها لغات شأن النصوص الأدبية، لم يعد ممكنا فهم النصوص فهما كلاسيكيا، لقد وجد السؤال: فيم تتجسد النصوص؟ جوابه في التبصر في المظاهر الكلامية لمختلف الفعاليات الاجتماعية. لقد أصبح للنصوص، بمختلف مضامينها، علاقة بكل ما هو اجتماعي، ويكفي أن الإحالات الخارجية التي تتضمنها كل النصوص تقريبا تدل على العالم بكل تجلياته. وبناء عليه، فإن موضوع تأثير النصوص على الواقع الاجتماعي يدعو إلى قيام علم اجتماع للنص تكون مهمته تحليل المواقف الاجتماعية التي تتبدى عليها المظاهر اللسانية الخطابية، وسوف نلاحظ أن هذه المواقف ستكون عوامل أساسية في تأسيس اللغات الاجتماعية، وعلى هذا الأساس ستتجاوز منهجية هذا العلم تحليل النصوص، إلى دراسة الضوابط التي تفرضها بعض اللغات المهيمنة التي يدعوها بيار بورديو باللغات المسموح بها. التي يعود إليها قرار تسويغ ما يجب أن يقال وما ينبغي أن يظل قيد الكتمان[1]. وسيكون هدف هذا العلم بهذه المهمة استمرار النظرية النقدية لأدورنو وهوركهايمر، لأنهما مشتركان في كشف الحدود التي تفرضها الأيديولوجيات التي تتضمنها النصوص على الأفراد والجماعات. سيجد علم اجتماع النص نفسه أمام مرجعية تأسيسية تُقر بالرابطة الألسنية بين النص (الأدبي) والمجال الاجتماعي، ويعود الفضل في تأسيس هذه النظرة إلى الشكلانيين الروس، الذين لم ينظروا إلى المجتمع على أنه مجموعة من اللغات المختلفة المتصارعة فيما بينها، إن أهم إنجاز قامت به الشكلانية هو اكتشاف أن للأيديولوجيات والنظريات العلمية طابعا ألسنيا (لغويا) يجعلها تشبه الأدب، وبما أنهم آمنوا بأن لنصوص الأدب تأثير واضح على المجتمع، فإن النصوص الدينية والأيديولوجية والفلسفية والنظريات العلمية سيكون لها تأثير أعمق من ذلك بكثير.

[1] بيارف زيما، مرجع سبق ذكره، ص 21

10. قائمة المراجع:

1. أبوزيد نصر حامد ، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط 01، 2014)
2. بارث رولان ، نظرية النص ترجمة: محمد خيري البقاعي (بيروت: مجلة العرب والفكر العالمي، عدد 1988)
3. بولنوار سعد، آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان الشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، (الجزائر: رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة ورقلة، كلية الأدب واللغات، 2011)
4. بينيت طوني ، غروسبيرغ لورانس ، موريس ميغان ، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ت: سعيد الغانمي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010)
5. الجيار مدحت ، علم النص دراسة جمالية نقدية (القاهرة: جامعة الزقازيق، ط1، 2005)
6. الحميري عبد الواسع ، الخطاب والنص: المفهوم، العلاقة، السلطة (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2008)
7. خميري حسين ، نظرية النص (الجزائر: منشورات الاختلاف، ط2007،1)
8. دي بوجراد روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسن (القاهرة: عالم الكتب، ط2، 2007)
9. سعد الله محمد سالم، مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني نموذجا (الأردن: جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، 2007)
10. شرشار عبد القادر، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، (الجزائر: دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2009)
11. طاليس أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات، بيروت: دار القلم، 1979)
12. العمري محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي (بيروت: إفريقيا الشرق، ط 02، 2002)
13. عكاشة محمود ، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال(الاسكندرية: دار النشر للجامعات، ط1، 2005)
14. فاركلوف نورمان، تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجماعي، ت : طلال وهبه (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009)
15. فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت: عالم المعرفة، 1992)
16. فوكو ميشال، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا (لبنان: دار التنوير، 1984)
17. القمري بشير، مفهوم التناص بين الأصل والامتداد، حالة الرواية، مدخل نظري (بيروت: مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60 – 61 لسنة 1989)
18. بيار ف. زيما، النص والمجتمع، آفاق علم اجتماع النقد، ت: أنطوان أبو زيد (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013
18. Julia, Kristiva, el texto de la novela (Trad, Barcelona , 1981)